سياسات التفرقة: صورة المرأة فى كتب مختارة من منهج المرحلة الثانوية فى السودان

مقدمة

تتناول هذه الدراسة صورة المرأة فى مناهج التعليم الثانوى فى السودان، وذلك بتحليل تلك الصورة فى مقرّرات ذلك التعليم وكشف أنماط التفرقة بين جنسى الأنوثة والذكورة فيها، والبحث عن الأسباب التى وراء نشوء تلك الصورة.

لقد كان اختيارنا لدراسة حالة المرحلة الثانوية بسبب عدم تناول الدراسات السابقة لها، رغم أهميتها كطور من أطوار تكوين الشخصية. ففى هذه المرحلة يواجه الطلاّب دوافع لم تكن ذات أثر فى المراحل السابقة. وفى هذه المرحلة يلج الطلاّب عالم النضج وما يصاحب ذلك من تطوّر عقلى وجسمانى وروحى. كل هذا يمثل تحديا تواجهه المدرسة الثانوية كمؤسسة تربوية تعليمية.(١)

محتوى المنهج الثانوى

يتكوّن المنهج السودانى الثانوى من اثنتى عشرة مادة، ويدرس الجنسان نفس المواد فى المساق الأكاديمى، وتستثنى النشاطات العامّة التى تدرّس فيها مواد مثل التربية الريفية والمهارات الصناعية فى مدارس البنين، بينما يدرّس الاقتصاد المنزلى ومهارات الخياطة فى مدارس البنات، وفى هذا بيان لنمذجة الأدوار التى سنتحدث عنها لاحقا.

ويتضح الفرق فى المواد بالنسبة للجنسين عند تناول مناهج المدارس الفنية، حيث يدرّس البنين مواد الهندسة، والبساتين والهندسة الزراعية، وتدرّس البنات إدارة المنازل، ورعاية الأمومة والطفولة، والطبخ والحياكة والفندقة. وتتوحّد الدراسة فى المواد الأخرى كاللّغات والجغرافيا وغيرها. وهكذا نلاحظ فى المدارس الفنّية توجّه المناهج لحصر فرص التلاميذ فى أدوار نمطية سائدة. الكتب التى اختيرت للتحليل تدرّس فى المدارس الفنّية والأكاديمية على السواء، وهى تمثل العمود الفقرى لمنهج المدارس الثانوية، ويبلغ عددها

تسعة وأربعون كتابا، ينشر معظمها معهد التربية ببخت الرضا أو دار النشر التربوى. هذه الكتب مؤلفة بخبرة سودانية ماعدا كتب اللغة العربية (من مصر) وكتب اللغة الانجليزية (من المملكة المتحدة)..

نتائج تحليل محتوى الكتب

بالتحليل الموضوعى، الاحصائى والنوعى لمحتوى الكتب المختارة برزت النتائج التالية :-

(١) الصورة العامة :- فى جميع الكتب التى تناولت سير الأشخاص يلاحظ الاهتمام بسير الرجال (ابن زيدون، المتنبىء، أحمد شوقى وغيرهم) وعليه يبدو طغيان عنصر الذكور. الكتاب الوحيد الذى تناول عنصر الاناث هو كتاب : نساء النبى صلى الله عليه وسلم، وهو لا يدرّس فى جميع المدارس الثانوية. أمّا فى كتب التربية الاسلامية فنجد انّ نسبة السير هى ٢٥ فى المائة للاناث و٧٥ فى المائة للذكور، أى سيرة امرأة واحدة لكلّ أربع سير للرجال. وحتى فى المواضيع التى وردت فيها إناث نجدهنّ فى أدوار ملحقة للابن أو الزوج أو الأخ أو الأب، والمعروف أنّ دروس السير تلعب دورا فعّالا فى إنشاء "مثل أعلى" للطلاّب، وذلك ينسحب على مادة التربية الاسلامية والمواد الأخرى مثل النصوص والتاريخ.

كتب التاريخ فى هذه المرحلة ليست بأحسن حالا من غيرها، إذ قد يتبادر لأذهان الطلاّب، بعد ثلاث سنوات من الدراسة، أنّه ليس للمرأة دور فى التاريخ الحديث لأوروبا أو افريقيا أو العالم العربى أو السودان، حيث يحتشد المنهج بشخصيات رجالية ذات أدوار قيادية متعدّدة بعضها قريب للعصر الحديث مثل الكواكبى والأفغانى بل قادة رجال أحدث عصرا مثل يوسف العظمة. هذا فى حين لا تتطرّق كتب التاريخ لسير النساء اللاّئى شاركن فى حركات التحرّر الوطنى الحديث مثل جميلة بوحريد فى الجزائر، أو رائدات الحركة النسائية مثل هدى شعراوى وغيرها. قد يكون ذلك من سلبيات مادة التاريخ التى تقتصر على دراسة "الأبطال" وإهمال الشخصيات العادية، فالمرأة وإن قلّت مشاركتها فى الدولة الحديثة، قامت بأدوار هامّة فى المجتمع ولعلّنا نرد إهمال سير النساء للاتجاهات الأبوية أو البطريركية للمؤرخين.(٢)

فى كتاب الشاعر الطموح وهو من كتب الأدب المقرّرة ،يوصـــف الذكور بصفات إيجابية مثل الجدية ،التصميم ، الحزم ، السيطرة علـــى الانفعالات وتحكيم العقل على العاطفة . وكان من نصيب الاناث صفـــات سلبية مثل الحسرة ،عدم الجدية ،وعدم السيطرة على الانفعالات . هـــذا تشويه للطبيعة الانسانية حيث تعمّم الصفات المنسوبة لكل جنس ،ممّـا يؤدى الى تكيّف الطلاّب مع هذه الأنماط الشعورية ،والتى قد لا تكـــون مطابقة للشخصية المتلقية ،سواء للاناث أو للذكور. مثال آخر هـــو كتاب نساء النبى صلّى الله عليه وسلّم ،حيث نجد الكتاب يهمـل الـــدور الايجابى التاريخى الذى قدّمته نساء النبى (ص) ويكتفى الكتـــاب بإظهارهنّ فى صورة منافسة الضرّات . وهناك مغالاة فى استخدام كلمات مثل "غيرة" ،"تنافس" ،"حيلة" ودهاء متصلة بسلوك نساء النبى الكريم. ففى هذا الكتاب متوسط الحجم ،تتكرّر كلمة "غيرة" أربع وثمانون مرّة وتبادلت الكلمات :"تنافس" ،وحيلة "ودهاء" مائتان وسبعة عشر مـــرّة . وقد وصفت الانفعالات والأداءات التى ترمز لها تلك الكلمات فى مقدمة الكتاب ص ١٠ (الأصل) بأنّها من "طبيعة حواء".

ونلاحظ هذه النمطية أيضا فى النصوص الأدبية حيث يبدو تقسيم العمل على الخطوط التقليدية واضحا ،ويجرى التعبير عن ذلك التقسيم بطريقة غير مباشرة فى كتب اللّغة والأدب ،حيث نجد المجازات "ربّـات الخدور" أو "ربّات الحجال". وترد هذه المجازات فى القصائد مثـــلا ، فتظهر النساء كشخصيات كسولـة غير منتجة ،وسلبية ،وهذه الصور أصـــداء تتراكم من التاريخ تمثل تجريدا من العصور القديمـة ولا أصل لهـــا فى واقع مشاركة المرأة الحالـية فى مختلف المجالات والأقاليم فـــى السودان.

أمّا فى كتب التربية الاسلامية ،فتظهر الأنماط المذكورة آنفـــا بصورة تقريرية ،ويبرّر تقسيم الأدوار بأسباب دينية وبيولوجيـــــة . وهكذا توصد الأبواب أمام أى محاولة للخروج من تنميط الأدوار الـــذى يحصر دور المرأة فى أعمال المنزل،وبعض الأعمال مثل التمريـــــض والتدريس عند الضرورة ،ولا تستدل هذه الكتب فى حججها بنص قرآنى أو حديث شريف ، إنّما يجتهد الكاتب لها اجتهادا. ويجب ملاحظة أنّ تحديـد

مهمة المرأة وتضييق الدور الذى يمكن أن تؤديه ، يضر المرأة والأسرة والاقتصاد القومى،بتعطيل جزء كبير من المجتمع.

ولا تقدّم المدرسة وحدها هذه القوالب ،فوظيفة المدرسة أن تكمل ما بدأته الأسرة والمجتمع والتقاليد ووسائل الاعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة ،هذه الأجهزة تعمل مجتمعة على إعادة انتاج هذه القوالب وتوزيعها وترسيخها فى أذهان الأفراد.

بالنسبة لكتب اللغة الانجليزية ،وهى الكتب الوحيدة التى تستخدم الصور،يلاحظ تعدّد الشخصيات الرجالية على النسائية ،ففى ما مجموعه خمسمائة وثلاثة وتسعون صورة ،نجد أربعمائة وأربعين صورة للذكور مقابل مائة وثلاثة وخمسين فقط للنساء ،أى بنسبة ١٩ر٧٤ فى المائة الى ٨ر٢٥ فى المائة.(٣)

وفى كتب اللّغة العربية ، نجد تمثيل الشعراء الذكور ٦١ر٩٦فى المائة ،وعليه يبقى ٣ر٣٨ فى المائة للشاعرات الاناث ،(٤) هذا مع وجود عدد كبير من الشاعرات فى العصرين القديم والحديث .

تأييد تعدّد الزوجات

وردت سبع نقاط تبرّر تعدّد الزوجات عند الضرورة فى مناقشة موضوع " الاسلام وتعدّد الزوجات". وفى تبرير الكتاب مساس بصورة المرأة وإظهار لها كعامل للفتن،وهم ثقيل على المجتمع ،يجب التخلّص منه بلا وازع. ولا تنفر تلك الكتب من تعدّد الزوجات مع وجود مثل هذا التنفير فى القرآن الكريم. كما أنّ كتب التربية الاسلامية لا تشير فى موضوع " الطلاق" الى الحالات التى كفل الدين للمرأة طلب الطلاق فيها ،بل تسوق الكتب التبريرات لقصر حق الطلاق على الرجل لأنّه مسيطر على النفس عند الغضب ،ودائما يحكم العقل.أمّا المرأة فتوصف بأنّها تفتقد القدرة على التقييم السليم للأمور لأنّها لا تستطيع تحمّل التبعات الاقتصادية. ويقول الكتاب بذلك فى حين أنّ كتاب التربية الاسلامية أهمل التشديد على الأضرار الاجتماعية والاقتصادية والنفسية التى قد تصيب المرأة المطلّقة فى المجتمع

نمذجة الأدوار

تعرف الأدوار الجنسوية المنمذجة بأنّها السلوكيات التى

تعتبر مناسبة لفرد ما على أساس التعريف الاجتماعى للنوع.[٥] فمن حيث المهن والوظائف حسب النوع والجنس وردت فى كتب المنهج الثانوى اثنين وأربعين مهنة خصّصت منها ستة عشر مهنة فقط للاناث أى ما نسبته ٣٨ر٩ فى المائة.[٦] وهناك أيضا تفرقة على مستوى نوع المهنة المخصّصة لكلّ جنس كما سنرى فى الجداول التالية.

جدول الوظائف للذكور

المهنة	التكرار	المهنة	التكرار
طالب	٦٣	لاعب كرة	٦
شاعر	٥٨	طبيب	٦
خليفة /رئيس /وزير	٣٨	طيّار	٥
عالم	٢٨	قاضى	٥
قائد	٢١	محامى	٥
شرطى	١٧	بقال	٤
جندى	١٢	مزارع	٤
مدرّس	٠٩	نجار	٤
موظف	٠٧	عامل	٣
مصلح	٠٧	خبّاز	١
		مدير	١
		جزّار	١

* المصدر:-

وزارة التربية والتعليم: كتب الأدب والنصوص للصفوف الثلاثة كتاب الشاعر الطموح.

جدول (٢)　　الوظائف للاناث

المهنة	التكرار	المهنة	التكرار
طالبة	٤٢	خادمة	١
ربّة منزل	٠٧	طبيبة	١
جارية	٠٦		
عالمة	٠٦		
شاعرة	٠٥		
مدرّسة	٠٥		
شرطية	٠٤		
خدمة اجتماعية	٠٢		
ممرّضة	٠٢		
مضيفة	٠٢		
كاتبة/طباعة	٠١		

المصدر:- نفس مصادر الجدول رقم (١)

من الجداول رقم ١،٢ السابقين يتضح أنّ هناك خيارا واسعا للذكور فى مختلف المجالات من النشاطات العقلية: مثلا (عالم،شاعر، طالب ..... الخ) الى الأعمال التى تتطلّب مقدرة بدنية (جندى،مزارع، جزّار ..... الخ). وعليه فإنّ الفرص متاحة للذكور للتخطيط لمهنة المستقبل (حيث تؤثر المفاهيم والأنماط المذكورة بطريق غير مباشر على خيارات الطلاّب)،بينما تضيق الفرصة أمام الاناث. ويلاحظ من الجدول أنّ معظم فرص المرأة انحصرت فى أعمال الخدمات ذات المرتب الصغير،وهذا يوضح الصورة العامّة للثقافة التقليدية التى ترتب الأدوار النمطية الاجتماعية للمرأة فى المنزل (ربّة منزل جارية ..... الخ). فلا نجد فى هذه الكتب مثالا للمرأة القائدة والمحاربة. ينسحب ما سبق ذكره عن المهن وفرص التوظيف على النشاطات التى وزّعت على الجنسين حيث اتسمت معظم النشاطات المقصورة على الذكور بطابع ملء أوقات الفراغ مع إتاحة حدود واسعة للحركة. وعلى عكس

ذلك نجد أنّ النشاطات التى خصصت للمرأة تتخذ طابعا محليا أو منزليا وقد ندرت فى جدول الاناث تلك النشاطات التى توفر التعامل مع الكون وكسب الخبرة بالتعامل مع العالم الخارجى،كما فى الجداول رقم ٣،٤ التاليين:-

جدول (٣) النشاطاتالتى خصصت للذكور

النشاط	التكرار	النشاط	التكرار
السفر	١٧	القراءة	٠٦
تناول الطعام	١٣	حديث من التلفزيون	٤
مشاهدة كرة القدم	١٠	الطلاء	٢
اللعب	٠٧	النوم	١
قيادة السيارة	٠٧	حضور زفاف	١
التسلق	٠٦		

المصدر:- نفس مصادر الجدول رقم (١)

—

جدول (٤) النشاطاتالتى خصصت للاناث

النشاط	التكرار	النشاط	التكرار
حضور حفل زفاف	١١	حديث فى التلفزيون	٣
تقديم الطعام	٠٧	إحضار ماء	٢
طبخ	٠٥	تناول الطعام	١
رعاية أطفال	٠٤	الابحار	١
قراءة	٠٤	تمشيط شعر	١
نوم	٠٣	السفر	١
تسوّق	٠٣		

المصدر:- نفس مصادر الجدول رقم (١)

ونلاحظ هذه النمطية أيضا فى النصوص الأدبية حيث يبدو تقسيم

العمل على الخطوط التقليدية واضحا،ويجرى التعبير عن ذلك التقسيم بطريقة غير مباشرة فى كتب اللّغة والأدب ،حيث نجد المجازات "ربات الخدور" أو "ربّات الحجال". وترد هذه المجازات فى القصائد مثلا والربّات هؤلاء شخصيات كسولة غير منتجة ،وسلبية ،وهذه الصور تمثل أصداء تتراكم من التاريخ ولا أصل لها فى واقع مشاركة المرأة الحالية فى مختلف المجالات والأقاليم فى السودان.

أمّا فى كتب التربية الاسلامية ،فتظهر الأنماط المذكورة آنفا بصورة تقريرية ،ويبرّر تقسيم الأدوار بأسباب دينية وبيولوجية. وهكذا توصد الأبواب أمام أى محاولة للخروج من تنميط الأدوار الذى يحصر دور المرأة فى أعمال المنزل،وبعض الأعمال مثل التمريض والتدريس عند الضرورة ،ولا تستدل هذه الكتب فى حججها بنص قرآنى أو حديث شريف ، إنّما يجتهد الكاتب فيها اجتهادا. ويجب ملاحظة أنّ تحديد مهمة المرأة وتضييق الدور الذى يمكن أن تؤديه ، يؤثر فى المرأة والأسرة والاقتصاد القومى،بتعطيل جزء كبير من المجتمع.

ولا تقدّم المدرسة وحدها هذه القوالب ،فوظيفة المدرسة أن تكمل ما بدأته الأسرة والمجتمع والتقاليد ووسائل الاعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة ،هذه الأجهزة تعمل مجتمعة على اعادة إنتاج هذه القوالب الجنسوية وتوزيعها وترسيخها فى أذهان الأفراد ممّا يعيد إنتاج المصالح الاقتصادية والأيديولوجية السائدة.

الهوامـــــش

(1) B.R. Pintner, Educational Psychology (New York, 1961) p. 168.

(2) Zeinab Al-Bakry and Alhaj Hamad,"Sudanese Women in History and Historiography,A proposed Strategy for Curriculum Change". Paper presented to the Workshop on Women Studies in Sudan, Khartoum, February, 1989.

(3) The Nile course (Student's book 4,5 and 6). المصـدر

(4) المصدر:كتب الأدب و النصوص للصفوف الثلاثة للمرحلة الثانويـــــة

(5) أنظر فى ذلك :ـ

P. Musgrave, The Sociology of Education (London, 1979).

(6) The Nile course (Students book 4,5 and 6) المصـــدر:ـ كتب الأدب و النصوص للصفوف الثلاثة وكتاب الشاعر الطموح وخاتمة المطاف .

ندى مصطفى
السنة الخامسة
قسم العلوم السياسية
مرتبة الشـــرف
كلية الاقتصاد و العلوم السياسيـــة
جامعة الخرطـــوم